(١٥) جعفر ابن أبي طالب

هو أحد الذين كانوا يشبهون رسول الله ﷺ، فهو ابن عمه . لقبه الرسول ﷺ بذي الجناحين؛ لأنه مات شهيداً في غزوة مؤتة بعد أن قطعت يداه، فأبدله الله تعالى بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

كان رضي الله عنه محبًا للمساكين، ومن أخير الناس لهم؛ ولذلك كناه الرسول بأبي المساكين. ويقال أنه أول من لقب بأمير المؤمنين عندما هاجر إلى الحبشة بطائفة من المؤمنين كان هو أميرهم، وظل هناك يدعو إلى دين الله حتى أسلم على يديه النجاشي ملك الحبشة.

عاد إلى المدينة المنورة مهاجراً مرة أخرى إلى النبي ﷺ يوم فتح خيبر، ففرح بقدومه أعظم فرح. وهو أحد قواد معركة مؤتة التي مات فيها شهيداً.

تلك كانت لمحة خاطفة عن سيرة هذا الصحابي العظيم، أما تفاصيل سيرته ففي السطور التالية.

***

كان أبو طالب بن عبد المطلب كثير العيال، قليل المال، وأراد ابن أخيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رضي الله عنه أن يخفف عنه، ويحمل معه بعض أعباء تربية ابنائه، خاصة بعد أن أصاب الناس ما أصابها من قلة الرزق وشظف[1] العيش، فطلب من عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن يكفل كل منهما أحد أبناء أبي طالب، فكان جعفر رضي الله عنه في كفالة عمه العباس رضي الله عنه.

وحينما بعث الله تعالى محمداً داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً، ورسولاً إلى الناس كافة . كان جعفر رضي الله عنه من أوائل المسلمين، ومن الطبيعي أن يناله ما ينال غيره من أذى قريش واضطهادها، وحينما اشتد الأذى بالمسلمين المستضعفين أذن الرسول ﷺ لهم بالهجرة إلى الحبشة حيث ملكها الذي لا يظلم عنده أحد.

وهاجرت جماعة المؤمنين بقيادة أميرها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت هذه هي الهجرة الثانية إلى الحبشة التي وصلوا أرضها وعاشوا فيها في سلام ولكن قريشًا

---

(1) شظف : شدة وضيق.

لم تسترح لهذا الأمر، فقررت إرسال رجلين بالهدايا إلى النجاشي ملك الحبشة ليسلمهما هذه الفئة التي مرقت وفارقت دين الآباء والأجداد. . وصل الرجلان إلى الحبشة، ودخلا قصر الملك بهداياهما، وتكلم أحدهما، وهو عمرو بن العاص - وكان يومئذ مشركًا - إلى النجاشي، وقال: أيها الملك، لقد نزل بأرضك نفر من بني عمنا، فارقوا ديننا، ورغبوا عن آلهتنا، ولم يدخلوا دينك. وقد بعثنا أشراف قومنا لتردهم إلينا. فقال النجاشي: قوم جاوروني ونزلوا بأرضي، واختاروني على من سواي، والله لا أفعل حتى أسمع منهم، ثم أرسل في طلبهم.

وصلت الفئة المؤمنة إلى قصر النجاشي بقيادة أميرها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان هو المتحدث عنها. وسألة النجاشي بحضرة رسولي قريش، وحضرة أساقفته[1] ورجال مملكته: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ فقال جعفر رضي الله عنه: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع[2] ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة[3]، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان واستحلال الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

دخلت هذه الكلمات مسامع[4] النجاشي ووصلت إلى قلبه فهزته، وشعر

---

(1) أساقفة: جمع أسقف وهو رجل دين عند النصاري فوق القيس ودون المطران.
(2) نخلع: نترك.
(3) قذف المحصنة: نسبة الفحشاء إليها.
(4) مسامع: أذان، مفردها مِسمَع.

بصدقها وروعتها. إنها أوامر تبدد ظلمات الحياة بأنوارها، وتزيل ظلمها بعدالتها، ولذلك بادر النجاشي بسؤال عن كلام صاحب هذه الأوامر، قائلاً لجعفر: هل معك مما جاء به عن الله من شئ. فقرأ جعفر رضي الله عنه أول سورة مريم. فبكي النجاشي حتى ابتلت لحيته، وقال إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة [1] واحدة، ثم التفت إلى مبعوثي قريش، وقال لهما: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً.

وفي اليوم التالي جاء رسولا قريش إلى النجاشي يكيدا لجعفر رضي الله عنه وإخوانه، وقالا له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً.

ومرة ثانية لم يأخذ النجاشي بقولهما دون تحقيق، فدعا جعفر رضي الله عنه وإخوانه وسألهم عما يقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم، هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول [2]. فضرب النجاشي الأرض وأخذ منها عوداً، ثم رفعه وهو يقول والله ما زاد عيسى بن مريم على ما قلت. اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي، ومن سبكم أو آذاكم فعليه جزاء ما فعله. ثم التفت إلى رسولي قريش وقال لهما: خذا هداياكما فلا حاجة بي إليها.

وعاد الرجلان إلى مكة خائبين على وجهيهما آثار الهزيمة.

***

بقي المسلمون في الحبشة ينعمون بعدل النجاشي، وينشرون الإسلام بين أهلها، حتى أسلم على أيديهم النجاشي رضي الله عنه وغيره من أهل مملكته. ولم تكن هجرتهم إلى الحبشة فراراً من أذى قريش فقط، بل نشراً لدين الله في أرض جديدة، وإعلاناً بأن هذا الدين ليس دين طائفة خاصة من الناس، بل هو دين الله للعالمين، وأن محمداً ليس رسول الله إلى العرب فقط، بل هو رسول الله إلى الناس أجمعين.

وفي أثناء بقاء المسلمين بأرض الحبشة ولد لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ابنه عبد الله وكان هو أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة.

ظل المسلمون بالحبشة عشر سنوات، وكانت تأتيهم أخبار إخوانهم في مكة

---

(1) مشكاة: فتحة في الجدار غير نافذة يوضع فيها المصباح.

(2) البتول: المنقطعة عن الزواج للعبادة.

حتى هاجروا منها إلى المدينة، وفرحوا بنصر الله يوم بدر الكبرى، وحزنوا لما أصاب إخوانهم يوم أحد.

في العام السابع للهجرة قدم جعفر رضي الله عنه بإخوانه المسلمين من الحبشة إلى المدينة في نفس اليوم الذي تم فيه فتح خيبر، ففرح الرسول ﷺ بقدومه فرحًا عظيمًا، واعتنقه وقبله بين عينيه، وهو يقول: « **ما أدري بأيهما أنا أشد فرحًا، بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر**».

ونزل جعفر رضي الله عنه بجوار المسجد النبوي، حيث جوار رسول الله ﷺ وملازمته. وكان رضي الله عنه محبًا للمساكين، عطوفًا عليهم، حتى لقبه رسول الله ﷺ بأبي المساكين؛ لتعلقهم به، وإقبالهم عليه، ومشاركتهم له في طعامه وشرابه، وهو كما قال عنه أبو هريرة رضي الله عنه كان أخير الناس للمساكين. . وتاقت نفس جعفر رضي الله عنه إلى الجهاد في سبيل الله، حتى يعوض ما فاته من مشاهد ومواطن، ويحظى بالدرجات العلى التي أعدت للمجاهدين، والمنى كل المنى لو نال الشهادة في سبيل الله تعالى.

وبالفعل ما هي إلا شهور قلائل بعد عودته من الحبشة، وفي السنة الثامنة للهجرة كانت معركة مؤتة بين المسلمين وعدوهم من الروم ومن ناصرهم من نصاري العرب، وكان جعفر رضي الله عنه أحد قواد الجيش الإسلامي، حيث قال رسول الله ﷺ وهو يرسل الجيش، ويؤمر عليه زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة، «**إن قتل زيد فالأمير جعفر ابن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة**».

***

خرج الجيش من المدينة المنورة، وكان عدده ثلاثة آلاف مقاتل، وسار نحو مؤتة حتى بلغها، ووجد أن جيش العدو تعداده مائتي ألف مقاتل.

ودارت رحى معركة شرسة، وكان قائد الجيش زيد بن حارثة يحمل الراية، وانهالت عليه سهام وسيوف الأعداء حتى قتل شهيدًا في سبيل الله مقبلاً غير مدبر، وقبل أن تسقط الراية نزل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من على صهوة[1] حصانه، ثم عقَره[2] وتقدم نحو الراية وحملها، وهو يقول:

---

(1) صهوة الحصان: مكان السرج من ظهره.

(2) عقره: ضرب قوائمه بالسيوف وذبحه وكان جعفر أول من عقَر في الإسلام.

يا حبـــذا الجنة واقترابهـــا طيـبةً وبـــــارداً شرابـهـــا

والـــروم روم قد دنا عذابهـا كافـرة بعيـدة أنســـابهـــا

علـــيّ إذ لاقيتـــها ضِرَابُهـا

وتقدم نحو صفوف الكافرين يطيح برؤسهم، ويضرب فوق الأعناق، ويضرب منهم كل ساعد وبنان [1]، ويصول ويجول يمينًا ويسارًا يخترق الصفوف ويقاتل في شجاعة وإقدام نادرين، حتى أمر قواد الروم بإيقاف زحف هذا المقاتل مهما كلفهم ذلك. فجاءت مجموعة منهم، وأحاطت به من كل جانب، حتى استطاعت أن تنال منه. وأصيب جعفر رضي الله عنه بضربة سيف قطعت يده اليمني، فأخذ الراية بيده اليسري، فجاءته ضربة أخرى قطعت يده اليسري، فاحتمل الراية بين عضديه[2] حتى لا تسقط، فانهالت عليه السيوف والرماح تطعنه حتى قتل.

قبل أن تسقط الراية كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قد رفعها عاليًا، وقاتل هو أيضًا حتى لحق بصاحبيه شهيداً في سبيل الله.

وأثناء المعركة، وبعد صلاة العصر كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ ويخبره بمصرع الأمراء الثلاثة، والرسول ﷺ يجلس مع أصحابه في المسجد ويخبرهم بما أوحى الله تعالى إليه، وهو يقول: **أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم صمت لحظة سالت فيها دموعه الطاهرة على خده الشريف**، فتغيرت وجوه الأنصار ظنًا منهم حدوث ما يكرهونه في عبد الله بن رواحه رضي الله عنه. ثم أكمل رسول الله ﷺ: **ثم أخذها عبد الله بن رواحه، فقاتل بها حتى قتل شهيداً**. ثم قال: **لقد رفعوا إلى الجنة**. ثم قال عن جعفر رضي الله عنه: **« والله لقد أبدله الله بذراعيه جناحين في الجنة»**.

ثم ذهب إلى بيت جعفر رضي الله عنه ليعزّي أهله، فوجد زوجته أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - تنظف أبناءها وتعجن عجينها. فأخذ الأبناء، واحتضنهم وهو يبكي، فأحست المرأة بشيء، فسألت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ فأجاب ﷺ: **نعم، أصيبوا هذا اليوم**. فصاحت المرأة، واجتمعت النسوة لصياحها يشاركنها فيه، وخرج رسول الله ﷺ حزينًا على ابن عمه وصاحبه رضي الله عنه الذي قال عنه « أشبهت خَلْقي وخُلُقي» رواه البخاري.

• **من فضائل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :**

(1) - كان عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما- إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال : «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين» رواه البخاري

(2) - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة**» رواه الترمذي

(3) ـ قال أبو هريرة رضي الله عنه : ما احتذى[1] النعال، ولا ركب المطايا[2]، ولا ركب الكُور[3] بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر.

***

(1) احتذى : لبس الحذاء واتخذه نعلاً.
(2) المطايا : جمع مطيّة، وهي الدواب المتخذه للركوب.
(3) الكور : هو الرّحْل الذي يوضع على ظهر البعير للركوب.